

محاكاة الحضارة عند أرنولد توينبي

نبيل مسيعد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار -
عنابة

nabil.meciad@univ-annaba.dz

تاريخ الإرسال: 2020/01/16؛ تاريخ القبول: 2020/02/15

Civilization's Simulation according to Arnold

Toynbee

Abstract:

Is a commonplace that societies everywhere and at any time seek to achieve progress and prosperity, of which the underlying factors tend to constitute a controversy amongst philosophers of history and civilization, and before them governors and politicians. This controversy has prompted the emergence of a number of theories; some of which attribute the progress of nations to a Devine power; some others attribute it to human effectiveness sustained by their mental abilities, while others attribute it to geographical factors and sometimes ethnic reasons. However, the English historian Arnold Toynbee, who studied all the civilizations known to humanity, found that it is about how nations respond to the challenges they face, and he then mentioned some of the actions which would help in civilizing the society, among which is simulation. In this article, we will focus on this procedure, revealing the conditions of its success and the reasons for its failure from the point of view of

this intellectual; with reference to the intellectual background that we think is behind this position.

Key words: Civilization; Toynbee; Renaissance; Nation; mimesis.

الملخص:

ما يلاحظ على المجتمعات في كل مكان وزمان هو رغبتها في تحقيق التقدم والازدهار، وقد اختلفت آراء فلاسفة التاريخ والحضارة، وقبلهم رجال الحكم والسياسة، في العوامل التي تؤدي إلى ذلك. ليفضي هذا الاختلاف لظهور عدد من النظريات، بعضها ينسب تقدم الأمم للعناية الإلهية، والبعض يردده لفعالية الإنسان المعززة بقدراته العقلية، وآخر ينسبه لعوامل جغرافية وأحيانا لأسباب عرقية. أما المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي الذي درس مجمل الحضارات التي عرفت الإنسانية، فوجد أن الأمر يتعلق بكيفية استجابة الأمم للتحديات التي تواجهها، ثم ذكر بعض الإجراءات التي تُعين على التحضر ومنها المحاكاة. وفي هذه المقالة سنركز على هذا الإجراء، بالكشف على شروط نجاحه وأسباب فشله، من وجهة نظر هذا المفكر، مع الإشارة إلى الخلفية الفكرية التي تحسب أنها تقف خلف هذا الموقف.

الكلمات المفتاحية: الحضارة؛ توينبي؛ النهضة؛ الأمة؛ المحاكاة.

مقدمة: تعددت النظريات التي حاولت تفسير ظهور الحضارات وانهارها، فنجد من يرددها للبيئة الطبيعية، والبعض ينسبها للعناية الإلهية، وذهب آخرون إلى القول بأن الأمر يتعلق بنشاط الإنسان، وفي هذا الإطار يمكن إدراج المحاولة التي قام بها المفكر الإنجليزي أرنولد توينبي، والمعروفة عنده بنظرية التحدي والاستجابة، والتي حافظ فيها على الرأي الذي يجعل للإنسان دورا في الحضارة، لكنه وضع ضوابط تسمح له بالاستجابة الصحيحة، كما اهتم بطبيعة التحديات التي يمكن أن تعترض المجتمعات، وقد استفاد كثيرا في بلورة معالم نظريته من أبحاث علماء النفس وفلاسفة الحياة. وفي هذه المقالة لا نريد التعرض لهذه النظرية بالشرح والتحليل، وإنما سنركز على أحد عناصرها، وهو المحاكاة التي يمارسها المجتمع داخليا

بغرض إتيان الأعمال التي تساهم في النهضة، وأحيانا يكون مضطرا لمحاكاة الأمم المتقدمة، وفي كلا الحالتين نجاحها يكون مرهونا بشروط معينة، وهذا ما نسعى إلى مناقشته في هذه المقالة التي تحاول الإجابة على المشكلة التالية: ما هي شروط نجاح المحاكاة في انتقال الإبداع الحضاري بين الأمم عند أرنولد توينبي، وما هي أسباب فشلها؟

أولا - مفهوم المحاكاة:

المحاكاة في اللغة العربية مشتقة من حاكى يحاكي أي يقلد الغير (ابن منظور، 1970: 191)، وتطلق بوجه عام على التقليد والمحاكاة. وبوجه خاص على ما يتصف به الحيوان من التلون الدائم أو المؤقت بألوان البيئة التي يعيش فيها، ليظهر متماهيا معها (لالاند أندري، 2001: 621) ، وقد أخذت المحاكاة مكانة مهمة في علم النفس بفضل أعمال غابريال تارد Gabriel Tarde (1843 - 1904) في فرنسا، لاسيما في كتابه قوانين المحاكاة، الذي أكد فيه على ضرورة البحث في الضوابط التي تحكمها، بوصفها عملية طبيعية في الإنسان، ثم لكونها توفر الوقت والجهد وتساعد على الإتيان (وهبة مراد، 2007: 578) .

وموضوع المحاكاة قديم، فكان له نصيب من الاهتمام في الفكر اليوناني بين مؤيد ومعارض، حيث رفضها أفلاطون لأنها بنظره طريقة مبتذلة للحصول على المعارف، ومصدرا لتشويه الحقيقة. إن المحاكي أو المقلد عند هذا الفيلسوف عندما يقوم بالرسم أو النحت، لن يتمكن من المحافظة على الأصل مهما بدل من جهد، وسيفشل في نقله إلى المشاهد بالصورة التي كان يريد. ولهذا نجده في محاوره الجمهورية عندما كان يصدد تحديد القوانين التي تحكم الدولة، يستبعد المحاكاة من مدينته الفاضلة (مطر حلمي أميرة، 1998: 214). واعتراضه على المحاكاة كان منسجما مع فلسفته المثالية، فهو يرى أن السرير الحقيقي موجود في عالم المثل، فيأتي النجار ويجسده في صورة تقريبية قابلة للاستعمال. ثم يأتي المٌحاكي الذي لا يتعامل مع

المثال مباشرة، فيقوم بتصوير ما صنعه النجار في لوحة فنية أو قصيدة، وبما أنه لم يتعامل مع الصورة الحقيقية، فإن عمله سيكون أقل شأناً، ومعرضاً أكثر للخطأ وأبعد عن الحقيقة، بل يقدم في النهاية مسخاً مشوهاً لعالم المثل.

أما أرسطو فإنه خلافاً لأفلاطون كان له موقفاً إيجابياً من المحاكاة، فالمقلد بنظره له القدرة على تصوير الطبيعة، بدليل الأعمال المبهرة التي قام بها رواد الفن عبر العصور، والمحاكي عنده بإمكانه مضاهاة الطبيعة، وإخراج أعمال فنية تفوق ما يوجد فيها، وكان بدوره منسجماً مع فلسفته الواقعية عند تناوله لهذا الموضوع.

وتعد المحاكاة لدى اليونانيين من الأدوات التي تعين الشعراء على التعبير عن أفكارهم، لكن نجد من وظفها بمعنى أوسع، ومن هؤلاء المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي اسند إليها دوراً كبيراً في عملية المثاقفة بين الأمم، بعد أن تأكد له من رحلاته خارج اليونان، أن الحضارة ليست حكراً على بلاده فقط كما كان يسود الاعتقاد لدى مواطنيه، بل هي موجودة في أماكن أخرى، وأنه لا مانع من تفاعل الحضارات وتبادل المنافع بينها، وهنا تكون الشعوب في حاجة إلى المحاكاة. وظل هذا المصطلح يتعرض للتشذيب والنقد والبحث عن الضوابط التي تسمح بتجنب المساوئ التي يمكن أن تنجم عن الاستخدام السيئ لها. وفي الفكر العربي نجد ابن خلدون يبيد اهتماماً بالمحاكاة، إلا أنه كان يوظف بدلها، كلمتي الانتحال والتقليد، وقد ركز في أعماله على دورها السلبي، بعد أن تبين له أن المغلوب يقلد الغالب لدواعي سيكولوجية في الأساس (بن خلدون، 2001: 184). ليستمر هذا الموضوع يغذي كتابات مفكري العصر الحديث، وما بعده إلى غاية يومنا هذا.

ثالثاً - المحاكاة عند توينبي

الباحث في فلسفة الحضارة وتاريخها يجد نفسه مع موضوع المحاكاة كلما كان بصدد دراسة تقدم الأمم وتخلفها، أو البحث في

مشكلة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وقد تعددت الآراء في شأنها فتراوحت بين الرفض والقبول، ومن أكثر المدافعين عنها في الفكر الغربي المعاصر كأسلوب للتحضر هو المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee 1889 - 1975م) الذي أفرد لها اهتماما خاصا في دراسته للتاريخ، جاعلا منها ركنا أساسيا في نظرية التحدي والاستجابة.

إن المحاكاة حسب هذا المفكر عملية يقوم بواسطتها فرد بتقليد فرد آخر، نتيجة للأثر الطيب الذي تركته منجزاته في نفسه، فيعمل على محاكاتها واستغلالها في مآربه الخاصة. وينسحب هذا الكلام على المجتمعات والأمم التي تنبهر بما أدركته الأمم الأخرى من رقي في مختلف الميادين، فيدفعها الانبهار للتفكير في بلوغ هذا المستوى من التقدم، وحينها لن تجد ما يحقق لها هذه الرغبة بسرعة وبمجهود أقل أفضل من المحاكاة (توينبي أرنولد، 2011 ج3: 362).

وكان توينبي يعلم أن المحاكاة أسلوب بدائي، وأنها طريقة تفرض على من يقوم بها التصرف كالألات، وأحيانا تضفي عليه نوعا من الغباء. إلا أن هذه المآخذ لم تكن كافية بنظره لاستبعادها من عوامل التقدم. ويعتقد أنه حتى في الحالات التي يُنظر إلى المحاكاة على أنها تصرفا غبيا، فإن الغباء هنا محمودا إذا كان يؤدي إلى التقدم. ومثاله في هذا ما حققته بريطانيا من رقي حضاري، بفضل التقليد الذي يُحسنه أغلب البريطانيين (توينبي أرنولد، 2011 ج2: 7).

وإذا كانت الحيوانات تلجأ إلى التقليد والمحاكاة بشكل غريزي، فإن الإنسان يعتمد عليها اختيارا، ليس لتعلم مهارات تُعينه على تلبية بعض مطالبه فحسب، وإنما كأسلوب في التحضر يمكّنه من اللحاق بركب الأمم المتقدمة. وهذا ما ركز عليه توينبي، بعدما أدرك الدور الكبير الذي تقوم به في مسيرة المجتمعات نحو المدنية. وتبيّن له من دراسته المقارنة للحضارات المختلفة، أن المحاكاة التي يقوم بها المجتمع ليست من نوع واحد، فمنها ما يحدث داخل المجتمع، حيث تقوم الأغلبية فيه بتقليد نخبتها، وتحرص على محاكاتها ما دامت قادرة

على الابتكار. ومنها ما يكون بين المجتمعات، وتحدث عندما لا تجد من تقلده في الداخل، فتعمل على تقليد مصادر الإشعاع الحضاري القادم من وراء حدودها، وبهذا تنقسم المحاكاة عنده إلى نوعين، محاكاة داخلية محاكاة خارجية.

1- المحاكاة الداخلية

المقصود بالمحاكاة الداخلية عند توينبي هي ما يصدر عن أفراد المجتمع، حيث تقوم أغليبيته العاطلة عن الإبداع بتقليد الأقلية المبدعة فيه، ويحدث هذا عندما تكون الأمة في طور الارتقاء، ففي هذه المرحلة يكون المجتمع متوفرا علىصفوة أو فئة قليلة أو نخبة تكون في مركز القيادة، وتعرف عند توينبي بمصطلح الأقلية المبدعة، مهمتها العمل على تحسين أحوال المجتمع ودفعه نحو التقدم، والذي سيكون بخير مادامت هذه الصفوة بخير. وأن أي تغيير فيه نحو الأفضل لا يتم الا بواسطة هذه القلة من الناس، التي تتميز بتطلعها الدائم إلى المعرفة، والبحث في مشاكل الإنسان، ومحاولة فهمها، ومن ثم تجاوزها. إنها فئة لا تستكين للوضع الراهن، ولا يهدأ لها بال الا عندما توفق لطرح حلول جديدة للمشاكل التي يتخبط فيها المجتمع(توينبي ارنولد، 2011 ج2: 350).

ويرى أن هذه الأقلية لن تتمكن من استمالة الأغلبية، الا إذا اجتازت عقبات عديدة، وتكمن اهم هذه العقبات حسب توينبي في الطبيعة البشرية نفسها التي تميل الى الراحة، والاكتفاء بنمط معين من الحياة، والاعتراض على محاولة تعديله أو تغييره. لذلك فإن نشاط الأقلية المبدعة يكون مصدرا للإزعاج، الذي قد يتحول الى عداوة، ومقاومة واضطهاد، وتاريخ العلم حافل بمثل هذه الممارسات المناهضة للمبدعين، وليس من ذنب اقترفه هؤلاء إلا دعوة المجتمع لتصحيح الأفكار الخاطئة، والخروج من حالة الخمول والكسل (الشفقي محمد عبد الله، 1964: 44).

والمشكلة الأساسية التي تواجهها هذه الأقلية هي كيفية نشر آرائها، ووضعها موضع التنفيذ في المجتمع. لأن نجاحها مرهون بمدى قدرتها على استمالة أغلبية أفراد المجتمع العاطلين عن الإبداع. وكان توينبي يتمنى لو رُزق البشر القدرة على تبادل المهارات، وتقاسم جذوة الإبداع بشكل مباشر من نفس إلى أخرى دون واسطة، وهي الأمنية التي شاركه إياها هنري برغسون Henri Bergson إلا أن ذلك يظل مجرد أمل بعيد المنال. وفي نفس الوقت كان يعارض فكرة انتقالها عن طريق الجينات كما تدعى نظرية التطور في صيغتها الاجتماعية (توينبي أرنولد، 2011 ج3: 192).

ومن ينظر في موقف توينبي من النخبة والعباقرة والأقلية المبدعة، يجد فيه شيئا من المغالاة في القيمة التي منحها لهذه الفئة، لكن سنجد في الفكر الغربي من ذهب في نفس الاتجاه، فهذا توماس كارلايل Thomas Carlyle يعلن أن مصير الأمة مرتبط بأبطالها (كارلايل، 1930: 96) ويشاركه هذه القناعة ألبرت شفايتزر Albert Schweitzer الذي يعتقد بدوره أن تجديد الحضارة لا شأن له بالحركات التي تحمل طابع تجارب الحشود. فالحضارة أكبر من مجرد رد فعل، إنها دراسة وتخطيط وتنفيذ، وهذا الأمر غير متاح للجميع، أنها مقتصرة على عدد محدود من الأفراد داخل المجتمع، يتوفرون على قدرات عقلية مستقلة عن تلك السائدة لدى أغلبية المجتمع الذي يتواجدون فيه (اشفيتسر ألبرت، 1963: 62). هذه القدرات تمكنهم من تحديد نوع الاستجابة المناسبة للتحديات التي تواجهها الأمة، وهنا تنشأ ثقة لدى الأغلبية في هذه الأقلية، يعقبها إتباع وتقليد لكل ما يصدر عنها من أفعال (الشيخ رافت غنيمي، 1988: 194). وقد يكون توينبي متأثرا في هذا ببرغسون الذي يرى أن الحركة في المجتمع تحدث بفعل الأشخاص (الملاح هاشم يحي، 2007: 393). وأن التقدم الاجتماعي يحدث في فترة من التاريخ عندما يكون هذا المجتمع مهيا للقيام بدور ما في تاريخ الإنسانية، من خلال نشاط فرد أو مجموعة من الأفراد تمكنوا من التغلب على قصورهم الذاتي (برغسون هنري، 1971: 92).

أما مصدر القدرة على الإبداع، فإنها بالنسبة لتوينبي تُقَدَّف في روع المبدع، بطريقة غرائبية أشبه ما تكون بالمعرفة اللدنية أو الاشراق عند المتصوفة. لكنه حاول البقاء بعيدا الى حد ما عن التفسير الديني للحضارة، جاعلا للإنسان المبدع نصيبا في هذه العملية (توينبي أرنولد، 2011 ج 1: 355). فكان مصدر الإبداع عنده مزدوجا، فيه جانب إلهي وجانب بشري، وهو رأي له نظيره في بعض المذاهب الكلامية، وأبرزها نظرية الكسب عند الأشاعرة.

وكان يحذر من مغبة القضاء على هذه الأقلية أو اضطهادها، وقد اشتد تحذيره أكثر عندما شعر بأن الاتجاه الماركسي اخذ في التوسع، لأن هذا الاتجاه ينادى بالقضاء على الفروقات الفردية، ويعلن أن الناس سواسية، وأن الفرد ما هو إلا ترس في آلة المجتمع. فوجد أن هذه الأفكار قادرة على تدمير الأقلية المبدعة في أي مجتمع تنتشر فيه، وإن حدث ذلك فإن الأمة حسب توينبي تكون قد خسرت رصيدها من الأفراد القادرين على الإبداع، ولهذا كان يحذر بشكل مستمر في أعماله من التوجه الماركسي.

ويؤكد توينبي أن المحاكاة الداخلية لن تحدث إلا إذا توفر التدريب اللازم، ونجاح التدريب مرهون بالكاريزما التي تتمتع بها النخبة بوصفها مصدر الهام لغيرها. وهذا ما نجده عند برغسون الذي وجد أن المبدعين، حين نستمع إليهم وهم يتكلمون، أو ننظر إليهم وهم يفعلون، نشعر أنهم ييثون فينا حماسهم، ويجروننا في حركتهم، ليس عن طريق القهر، وإنما هو جذب لا يكاد يقاوم (برغسون هنري ، 1971 : 106) ، وإذا كان توينبي يتكلم عن التدريب كطريقة لإتقان المحاكاة، فإن برغسون يتكلم عن الترويض. ولا فرق بين الطريقتين إلا أن الأولى تدخل في الاعتبار كرامة الانسان، في حين الثانية لا تميز بين الانسان والحيوان، لكن في المحصلة النتيجة واحدة، وهي تمكين المقلد من الحصول على قدرات الابداع تدريبا أو ترويضاً.

2- المحاكاة الخارجية

إذا كانت المحاكاة الداخلية تنشط في زمن ارتقاء الأمة، فإن المحاكاة الخارجية تكون في حالة انهيارها، ومن الطبيعي أن يكون الأمر هكذا، فلا نتصور الغرب يحاكي الأمم الأخرى وهو على هذا المستوى من الرقي الحضاري. وعليه فإن الأمم الضعيفة هي الطرف الأول لهذه المحاكاة، والطرف الثاني هو الأمم المتقدمة. وهي الظاهرة التي التفت إليها ابن خلدون من قبل، وتحدث عنها في فصل عنوانه في أن المغلوب مولعا أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده، وقد استند في تفسيره هذا لقاعدة نفسية يعتقد بصحتها، وهي أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها (بن خلدون ، 2001 : 184) .

ومع أن ابن خلدون يرى التشبه فطرة في الانسان، فإنه مع ذلك وجد فيه نقص يعترى الأمم عندما تلجأ الى التقليد، ويتعاطم خطره عندما تغالط المجتمعات نفسها، فتتميل الى التقليد تحت تأثير اعتقاد زائف، مفاده أن الأمم المتغلبة هي قوية لكمال طبيعي فيها، والامم المتخلفة هي ضعيفة لنقص طبيعي مستقر في افرادها (بن خلدون ، 2001 ، 184) . وما يمكن فهمه من كلام ابن خلدون، أن تقليد المجتمعات الضعيفة للأمم المتقدمة هو خطأ مصدره سوء فهم الأسس والنواميس التي تؤدي الى الرقي والازدهار.

وبالعودة الى توينبي فإن المحاكاة الخارجية التي تقوم بها الأمم التي ليس لها حظ من الحضارة، لا يصنفها ضمن الأخطاء التي ترتكبها الأمم كما هو عند ابن خلدون، بل يرى من الضروري أن تلجأ إليها إذا كانت تروم التقدم السريع. على أن تكون صادرة عن رغبة لدى اغليبيتها. أما إذا فُرضت عليها من طرف السلطة الحاكمة، فإن توينبي وبالنظر الى الأمثلة التي اطلع عليها في كتب التاريخ، وما شاهده في الواقع، نجده يحكم بفشل هذا النوع من المحاكاة، ويؤكد أن نتائجها ستكون عكس ما كان ينتظر منها.

ونفس الشيء بالنسبة للمحاكاة التي تفرضها القوى الاستعمارية، التي أعلنت أنها تسعى من وراء تواجدها في مستعمراتها

لتغيير سلوك السكان الأصليين، والرفع من مستواهم الحضاري. لكن التاريخ لم يسجل نجاح أي منها، لأن المهمة الأساسية لهذه القوى هي استنزاف الثروات الطبيعية، ومقدرات الشعوب المغلوبة على أمرها، وليس نشر الحضارة. هذه الملاحظة أكدت لتوينبي أن المحاكاة ليست في كل الأحوال تؤدي الى نتائج طيبة في طريق التقدم، الامر الذي قاده للحديث عن شروط نجاحها.

ثالثا - شروط نجاح المحاكاة

نجاح المحاكاة مرتبط بنوعها، وبالفتره التي تمر بها الأمة، بالنسبة للمحاكاة الداخلية، والتي تحدث كما تقدم داخل المجتمع الذي يتلمس طريقه نحو الرقي والازدهار، بفضل التفاعل بين مكوناته الرئيسيين أعنى الأقلية المبدعة والأغلبية المقلدة، الآن نتيجة هذا التفاعل تكون مرهونة بمستوى الثقة بين الطرفين (توينبي أرنولد ، 2011 ج1: 359) ، ومدى توفر الجو الملائم والظروف المساعدة على ذلك.

ويرى توينبي أن جلب انتباه الأغلبية وتدريبها على محاكاة الأقلية ليس بالأمر الهين، لأنها تكون بصدد تغيير المسلمات، وإعادة ترتيب الأولويات. فيتعرض المجتمع لرجة عنيفة تهزه من الأعماق، عقب تلقفه جدوة الابداع وتزداد شدة هذه الرجة كلما كان مغرقا في التخلف. وعليه فإن نجاح المحاكاة الداخلية مشروطا بمدى الالتزام بضوابط معينة، أولها أن تكون صادرة من طرف اغلبية المجتمع، وثانيها لا بد أن يقوم بها هؤلاء عن ارادة وحرية اختيار، وثالثا لا ينبغي أن تُفرض من فوق في صيغة أوامر، تجبرهم على تغيير نمط حياتهم. لأن هذا الأسلوب في التحديث لا ينتج الا ثقافة مصطنعة لا فائدة ترجى منها كما حدث في العالم الإسلامي المعاصر (صباحي احمد محمود ، 1975 : 341 ، 342). ومن نافلة القول أن المحاكاة الداخلية عند توينبي تكون فعالة عندما تكون الأقلية في المجتمع في احسن احوالها. أما إذا اصابها الوهن، وتراجعت عن الابداع، فإنها تفقد

قيمتها، ويتحول اهتمام الأغلبية للأبداع القادم من وراء الحدود، وهنا نكون مع المحاكاة الخارجية.

وبالنسبة للمحاكاة الخارجية فإن توينبي يعتقد أن دورها في النهوض بالأمة، مرتبط بتوفر المجتمع المحاكي على طاقات ذاتية قادرة على هضم تجارب المجتمعات الأخرى، ومن ثم المساهمة في الحضارة الإنسانية. والهضم عنده لا يعني تحويل شروط النهضة، وتعديلها بما يتفق مع الثقافة المحلية كما هو الأمر لدى أغلب فلاسفة التاريخ والحضارة. بل يعني عنده تقبل الحضارة الراقية بكل عناصرها المادية والمعنوية، مع التركيز على نقل العوامل الداخلية التي ساهمت في ابداع هذه المظاهر، ويقصد بها الشروط التربوية والنفسية التي تقف خلف هذه الاعمال.

ولا تختلف شروط المحاكاة الخارجية عن شروط المحاكاة الداخلية كثيرا عند هذا المفكر، فلا بد أن تصدر عن أكبر عدد من افراد المجتمع، لأن ذلك يكشف عن وجود توجه عام يسعى لتغيير الاوضاع نحو الاحسن. أما لو فكر الحاكم في فرضها على اتباعه، فإن النتائج ستكون عكسية. وحتى لو نجح بقوته وجبروته في حمل الأمة على محاكاة ما لا ترغب فيه، فإن كل ما انجزه سيزول بمجرد ازاحته من الحكم أو وفاته. وهنا يذكرنا توينبي بالإسكندر الأكبر الذي أراد نشر ثقافة تعدد الزوجات بين جنود، وعادة تقديس الامبراطور عندما بلغ جيشه بلاد فارس، الا أن هذه المظاهر التي فرضها على اتباعه زالت مباشرة بعد موته. لذلك يجب أن تتطابق إرادة الحاكم والمحكومين في هذه العملية، فالانبهار بالغرب في تركيا الكمالية كان موجودا لدى الطرفين حاكما ومحكومين، وما كان لينجح اتاتورك حسب توينبي الا لأنه كان يعبر عن رغبة لدى السواد الأعظم من الاتراك (توينبي ارنولد ، د ط : 25) .

وينبغي ألا تكون المحاكاة انتقائية فتهتم ببعض مظاهر الحضارة كال تقنية وتهمل الأخرى، وهذا ما أشار اليه داريوش شايبان بقوله " الموقف السائد في البلدان الاسلامية من التقنية منذ القرن

التاسع عشر هو تقريبا التالي: لناخذ التقنية الآتية إلينا من أوروبا، ولكن لنحدر الفكر الذي يحملها" (شايغاندريوش، 1993 : 71). هذا لا يفيد في شيء بالنسبة لتوينبي. فلا يجب أن تكون المحاكاة انتقائية، أي لا ينبغي أن يأخذ المجتمع ما يتفق مع نظمه وعاداته وتقاليده، ويترك ما لا يتفق معها. فلا بد من نقل الأنظمة السياسية والاقتصادية والقيمية كما هي، لأن التقدم الحضاري كل متكامل عنده. بمعنى على المقلد أن يأخذ الكل أو يدع الجميع، وقد استدل بتجارب بعض الأمم التي أرادت الالتحاق بالركب الحضاري، لكنها فشلت لأنها كانت لا تأخذ كل عناصر الحضارة، بل تكتفي بما تراه مناسبا ويتفق مع تقاليدها، في حين وفقت أمم أخرى في نقل الحضارة الغربية عندما قررت تغيير كل ما من شأنه أن يقف حاجزا أمام التحديث سواء كانت عادات أو قيم أو نظم أو معتقدات.

وهنا قدم مثالا اخذه من العالم الاسلامي الذي لم يشهد تغييرا نحو الاحسن في العصر الحديث، لأن الاقتباس في هذه المنطقة من العالم كان جزئيا. في حين نجحت روسيا في إحداث تغييرا حقيقيا في المجتمع عندما قام بطرس الأكبر بتغريب بلاده في بداية القرن الثامن عشر، بعد أن تبين له أن الاقتداء بالغرب يجب أن يشمل كل شيء أو لا شيء (توينبي ارنولد، 2011 ج3: 312). ونسج على منواله كمال اتاتورك، عند ما أدرك أن أنصاف الحلول في التغريب لن تنفع الأتراك، فتجنب اخطاء غيره الذين كانوا يتشبهون بوهم الانتقاء والاختيار من العناصر لأجنبية، فبلغ بين سنتي 1922 و1928 حسب توينبي هذا الهدف عن طريق قيامه بعملية تحديث شاملة مندفة، فحرر المرأة وفصل الدين عن الدولة، واستبدل الأبجدية العربية باللاتينية، (توينبي ارنولد ، د ط : 25) فكانت النتائج التي حققها دليلا كافيا بالنسبة لتوينبي على نجاح المحاكاة الشاملة. إن سياسة الجرعة القليلة من الحضارة الغربية، أو انتقاء بعض العناصر منها، لا يمكن عند توينبي الا أن تخفق، لأنها تتجاهل حقيقة بارزة وهي أن الحضارة كل لا يتجزأ، وأن أفسامها متداخلة (Arnold Toynbee , 1957 : 25).

وأن الاكتفاء بالحد الأدنى من جرعات الثقافة الخارجية لن يساهم في أحداث التغيير المناسب للتقدم، بل قد يعرض الأمة للتسمم.

لهذا كان ينصح العالم الاسلامي بأن يتخلى عن سياسة الانتقاء الحضاري إن أراد اللحاق بركب الأمم المتقدمة. ويعتقد أن عدم الامتثال لهذه الشروط الصارمة هو الذي جعل نتائج التغريب لا تظهر في اليابان التي شرعت في نقل الحضارة الغربية في العهد الميجي في حدود سنة 1860م، ولم تحقق نتائجها في المحاولة التي قامت بها الحكومة الصينية إبان ثورة الكومانتانغ سنة 1920م (توينبي ارنولد، د ط : 56) .

ولما كان توينبي يعلم أن النقل الكلي للحضارة قد لا يجد اقبالا من طرف الشعوب بسبب تباين الثقافات، اجتهد في البحث عن وسيلة تسمح بتمير عناصر الحضارة كلها، بعد أن لاحظ أن الإصرار على نقلها سواء من طرف الحكام، أو من طرف المستعمرين، يقابل غالبا بالرفض والمقاومة من طرف السكان الأصليين المتعلقين بإصالتهم، خاصة عندما يستشعر هؤلاء أن مقدساتهم في خطر، وعاداتهم وتقاليدهم مهددة بالزوال. فنصح توينبي القائمين على نقل مظاهر الحضارة بعدم التعرض لهذه الثوابت مؤقتا، والتركيز على ادخال العناصر التي لا تثير حفيظة المجتمع الذي يستقبلها. ومن أهم وأفضل هذه العناصر ذكر التكنولوجيا، التي اكتشف فيها قدرة كبيرة على اختراق المجتمعات دون مقاومة. لأنها تقدم خدمة سريعة ومتفنة لمن يستخدمها، وفي نفس الوقت لا تتعارض مع قيمه الروحية (توينبي ارنولد، د ط : 47) فكانت التكنولوجيا بمثابة طعم لاستدراج الشعوب غير الغربية للوقوع في حبال التغريب.

رابعا: أسباب فشل المحاكاة

النكوص إلى الماضي والاحتماء بأمجاده وأيامه السعيدة يعد في نظر علماء النفس آلية شائعة في التعامل مع حالات الفشل، وهذا ينطبق على الأمم التي تجد نفسها أمام واقع صعب لا تستطيع تحمله،

فقلجاً الى الماضي تستلهم منه أسباب القوة والازدهار بعد أن ثبت لديها أنه لا يصلح حالها الا بما صلح حال السلف، فتعمل على بعث نظمهم والتشبه بأساليب الحياة القديمة. ويزداد التعلق بالسلف عند توينبي بمقدار تخلف المجتمع، ويترسخ بمقدار الشعور بالعجز عن مجابهة التحديات الطبيعية والبشرية، بشكل يتناسب طردياً مع درجة القهر التي تُمارس على الافراد (حجازي مصطفى، 2005: 103) .

ويرى أن هذا النوع من المحاكاة المتجهة الى الخلف لا تزيد الامر الا سوءاً، وفي هذا الصدد قدم امثلة تؤكد كلها أن هذا الخيار غير سليم، فاليهود افنتتوا بماضيهم واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار فكانت النتيجة هي التحجر خلال ازمة طويلة، وكذلك فُتنت اثينا في مراحلها المتأخرة بماضيها المجيد وظلت تتغنى بأنها معلمة هيلاس. وتراجعت إيطاليا أيضاً بسبب تمسكها وافتخارها بماضيها، فوقعت تحت اقدام نابليون بونابرت، فدفعها زحفه لاحقاً لمراجعة نفسها والتخلص من سلطة الماضي (توينبي ارنولد، 2011 ج2: 66) .

ومن صور الافتتان بالماضي هو التمسك بنظام حكم معين والكلف به، مثلما وقع للبيزنطيين الذين انبهروا بنظم الامبراطورية الرومانية فتعلقوا بها، وحاولوا العمل على منوالها ففشلوا، ولنفس السبب تكلست بعض المجتمعات وظلت عاطلة عن الفعل الحضاري مثل مجتمعي البدو والاسكيمو، والسبب هو تعلقهم بالأساليب التقنية التي مارسها القدماء في صيدهم ورعيهم وصناعتهم.

وتبين لتوينبي أن الانتصارات العسكرية والسياسية الكبيرة في المراحل الاولى من تاريخ الإسلام، كانت بسبب اعتمادهم على طرق وأساليب حربية جديدة، فجاء احفادهم وتمسكوا بتلك الطرق دون تجديد طيلة قرون فكانت سبباً في تأخرهم بعد أن كانت مصدر قوتهم، فانهزموا أمام الغرب. ويتفاقم الخطر أكبر بالنسبة لهذا الاتجاه عندما يصبغ صفة التعالي على تراثه، وينسى انه ظاهرة تاريخية قابلة للتعديل حسب مقتضيات العصر (اركون محمد، 1996 : 24) .

وحسب هذا التصور فإن كل عضو من أعضاء الأمة يشعر بنفسه معاصرا بشكل مباشر لكل أعضائها السابقين متجاهلا الفاصل الزمني الذي يفصله عنهم، بل ويشعر أنه معاصر أيضا لمن يأتي بعده، على أساس أن الجميع خاضع لنظام واحد غير قابل للتعديل. فيتحول التراث الى خزان روحي يغذي شعور الأمة بهويتها، ويحرك امال المؤمنين ويخلق غاية أخروية على تصرفاتهم. ولهذا فإن اسلوب السلفيين القائم على محاكاة القدماء حسب توينبي هو نزعة تلغي نفسها ذاتيا عندما تريد من الماضي أن يمدّها بأسباب القوة، وقد تجاهل أصحابها، ان استعادة الماضي واهمال الحاضر يتعارض مع حافظ الحياة الذي يتجه بطبعه إلى الامام (توينبي ارنولد، 2011 ج2: 400 ، 401) .

وعندما حلل سلوك السلفيين وجد أنهم يعانون من متلازمة كعكة العادات (توينبي ارنولد، 2011 ج1: 361) ، وقد استعمل هذا المصطلح ليكشف عن مدى تعلق السلفين بالماضي، وانهم عندما يتمسكون به يشعرون بلذة تمنعهم من النظر الى غيره، وفاتهم أن هذه الكعكة قد تكون منتهية الصلاحية منذ قرون، فيتسمم جسد الأمة من جراء الإدمان على تناولها. فيدخلون حسب محمد اركون في دوامة التكرار، وإعادة انتاج القيم والمعايير القديمة دون جدوى (اركون محمد ، 1996 : ص 23) . ان التراث عند السلفي يصبح وسيلة لمواجهة التحديات الجديدة، وقد يجد أنه غير فعال في تجاوزها، لكنه مع ذلك يظل متعلقا بهدون أن يعترف بعجزه، وما يعقبه من مشاعر الخزي (حجازي مصطفى ، 2005 : 107) .

وقد يجد المجتمع نفسه منساقا نحو السلف، لأن الارتداد الى الماضي لا يتطلب في أغلب الأحيان صراعا فكريا واجتماعيا، ولا يفرض حالة مجاهدة ومجابهة وصدام، كما أنه يأتي في ظل الضغوط والإحباطات التاريخية المعاصرة، كل ذلك يخلق لدى السلفيين وهما تاريخيا شاملا، ملخصه أن الماضي هو الملاذ المريح للنفس والمعين الذي لا ينضب للأمان والامال.

وعندما يُبدي توينبي اعتراضه على محاكاة السلف في مجال الحضارة، فهذا لا يعني انه يرفض العودة الى التاريخ بالبحث والتقصي، بل على العكس تماما فهو بالدرجة الأولى مؤرخ، ويعلم أن دراسة التاريخ تعد ضرورة موضوعية، لكن بشرط أن يكون الهدف منها هو البحث عن جذور الوعي القومي، والوعي التاريخي للأمة. وفي هذه الحالة لا يكون الرجوع الى الماضي واحيائه انزلاقا بل الهدف من ذلك هو التعرف على الازمات التي مرت بها الأمة قديما، والكشف عن الكيفية التي واجه بها القدماء تلك الازمات، والتعرف على الأسباب التي منعت مواجهتها (بدران ابراهيم، 1991 : 197). وليس من اجل محاكاتها وإعادة انتاجها. وفي الجانب الاخر وجد توينبي أن بعض المجتمعات اخدت وجهة معاكسة فتخلصت من كل ارثها التاريخي، وحاولت استبداله بنظم معاصرة اثبتت فعاليتها في مناطق أخرى من العالم.

ان دراسته الواسعة للتاريخ واطلاعه على الوضع العالمي المعاصر، كشف له أنبعض المجتمعات التي جربت محاكاة السلف، وجدت نفسها تجتر خيبتها لقرون. فتأكد لها انه من المناسب تغيير وجهة المحاكاة، فأشاحت بوجهها عن الماضي وتطلعت نحو المستقبل، والمستقبل الذي تتطلع اليه هو في الواقع يمثل حاضر الأمم المتقدمة. وكان رد فعلها قوي جدا فنبتت كل ما له علاقة بتاريخها، واقبلت على الاخذ بمظاهر الحضارة دون تمييز، فهجرت عاداتها وتقاليدها، وغيرت زيتها واستبدلته بطرز غير معروفة لإبائهم واجدادهم، ضنا منها أن هذا السلوك سيدمجها في الحضارة المعاصرة (توينبي، 2011 ج2 : 402).

وهذه النزعة المتجهة للخارج نجدها سواء لدى الأمة التي كان لها نصيب من القوة، ولما فقدت عظمتها، حاولت السعي لاستعادة مجدها عن طريق المحاكاة. كما نجدها لدى الأمم التي ليس لها حظ من الحضارة، وانما تعمل على تحصيل شيئا منها. لكن المحاكاة في كلا الحالتين قد لا يكون النجاح حليفها خاصة إذا كان الاهتمام مركزا على مظاهر الحضارة، ودون الانتباه للعوامل الحقيقية التي كانت تقف

خلف تلك الإنجازات المبهرة. وهذه العوامل لا يمكن للترجمة أن تكشف عنها، وليس من السهل اكتشافها من خلال رحلة نحو مراكز الحضارة تستغرق أيام معدودات.

إن ما أُتيح للأمم المتقدمة من مظاهر الرخاء والرفي، كان سببه نمو العلوم الطبيعية وتقدم المعرفة بالقوانين المتحركة فيها، متزامنا مع تقدم العلوم الاجتماعية والاقتصادية وازدهار الفلسفة والفنون، وإن يكون هذا التزامن متاخلا الى ابعد الحدود. أما في الدول النامية، فإن العلوم الطبيعية وصلتها بشكل منفصل عن العلوم الإنسانية، والأفكار السياسية منفصلة عن الفلسفة، فكان نتيجة هذه القوافل المنفصلة التي كرسها أنظمة التعليم الرديء، غياب الوعي بالتاريخ، وعدم إدراك القوى الحقيقية التي تعمل على تغييره (بدران إبراهيم، 1991 : 238، 239).

ومن الأمثلة البارزة التي تؤكد فشل المحاكاة الخارجية، ذكر توينبي تجربة محمد علي. فقد شرع هذا القائد في التأسيس لنهضة حديثة في مصر عن طريق استقدام اليد العاملة الماهرة من أوروبا بداية من 1814م. فقام بأرسال أول البعثات التعليمية الى فرنسا بداية من سنة 1818م في تخصصات متنوعة، مثل القانون، والعلوم السياسية، والطب، والزراعة، والكيمياء، والهندسة المعمارية، والطباعة، والميكانيك. وتشير الاحصائيات الى أن عدد الطلبة الاجمالي الذين ارسلهم محمد علي الى أوروبا بلغ 339 طالبا اغلبيهم توجهوا الى فرنسا وبريطانيا (ظاهر مسعود، 1999 : 89). وكان ينصح السلطان في تركيا بتحديث الدولة العثمانية عن طريق الاقتباس من علوم الغرب على غرار ما قام به هو في مصر. الا أن محاولة محمد علي حسب توينبي أسفرت عن هجين غربي إسلامي لا قيمة له، لأنه أخذ أسوأ ما في الغرب، وحافظ على أسوأ ما في الثقافة الأصلية. ونفس الأمر بالنسبة لمحاولة الأتراك قبل كمال اتاتورك. اما المحاولة التي قام بها أمان الله خان في أفغانستان فإنها حسب توينبي كانت أقرب الى المأساة أو الملهة منها الى العمل الجاد الذي يطمح لبناء

الحضارة، لأنه في الواقع كما يذكر توينبي سلك مسلك القردة في المحاكاة (توينبي أرنولد، 2011 ج3: 317) .

وقد لخص محمد عابد الجابري المحاكاة السلفية والمستقبلية في عالمنا بقوله وهكذا يلتقي السلفي والليبرالي العربي على صعيد واحد فكلاهما يرى النهضة في القفز على التاريخ لا في صنعه، الأول يراها في العودة الى طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والثاني يراها في العودة الى المبادئ الأوروبية. ملتقطة مفاهيم ومظاهر الحضارة من فضاء الفكر الاوروبي الحديث، ثم اخذ ينثرها في الفضاء العربي دون رابط بينها، ولما كانت مجرد سلع مقطوعة الصلة بموطنها، كان طبيعيا جدا الا تلقى صدى في موقعها الجديد، ثم حاول اختصار ذلك فقال: اننا أمام عقل قديم يدعو الى التحديث (الجابري محمد عابد، 1994 : 45) .

خاتمة

في هذه المقالة حاولنا التعرف على موقف توينبي من أحد عوامل التقدم الحضاري وهي المحاكاة، وقد تبين أن نجاحها أو فشلها عند هذا المفكر يكون حسب نوعها وحسب امتثالها لشروط معينة، فإذا كنا بصدد الحديث عن المحاكاة الداخلية والتي تقوم بين النخبة والأغلبية، فلنجاحها لابد من توفر طرفيها على مقومات النجاح الأساسية. بالنسبة للنخبة ينبغي أن تكون متألفة بإبداعها لدرجة تجلب الانتباه، أما الأغلبية فلا بد أن تكون مهيأة لاستقبال جدوة الابداع من نخبتها، وليس من سبب يدفعها الى ذلك الا الانبهار بعيدا عن كل اكراه. اما المحاكاة الخارجية فتقوم بها عادة المجتمعات التي تفتقد الى نخبة مبدعة، وتأمل في الالتحاق بركب الحضارة عن طريق الاستعانة بما أدركته الأمم الأخرى من عوامل التقدم.

ولاحظ توينبي أن المحاكاة في هذه المجتمعات تظهر في صورتين مختلفتين، الأولى تتجه فيها المحاكاة الى الماضي، وهذا ما يعرف عنده بالاتجاه السلفي على أمل إعادة الأوضاع لما كانت عليه،

والثانية تأتي كرد فعل على خيبة الأمل في الماضي الذي لم يحمل ما يساعد على تجاوز مشكلات العصر، فيشرع المجتمع بطريقة غير مدروسة في عملية التحديث.

وكلا المحاولتين بالنسبة لتوينبي مصيرها الفشل، لأن الاتجاه الى الماضي يعني مجابهة تحديات الحاضر بما لم يعد قابلا للاستعمال. أما الاتجاه الثاني فإنه يريد تحقيق نهضة سريعة عن طريق القفز على السنن التي تحكم تقدم الأمم. ثم أهمل الحديث عن الاتجاه السلفي، وحاول أن يقدم إجراءات عملية لأصحاب التوجه الثاني، ومن بينها التأكيد على أن يشمل التقليد كل عناصر الحضارة المادي منها والمعنوي، والابتعاد كلياً عن الانتقاء الحضاري، لأن الحضارة بنظره كل متكامل غير قابل للتجزئة.

كان على توينبي أن يكون أكثر وضوحاً في حديثه عن شروط المحاكاة الناجحة، ويصرح بأنه يريد من الشعوب الأخرى أن تتصهر في الحضارة الغربية. ثم أن الأمثلة التي قدمها ليست بالصورة التي ذكرها في كتبه أو على الأقل لم يوفق في توقعاته. فتركيا الكمالية التي أرادت التغريب لم تتمكن من الاندماج في الغرب، ولم تحافظ على أصالتها. أما اليابان والصين التي ذكر أنهما فشلتا في التغريب، فإنهما حالياً ينافسان الدول العظمى في كل المجالات مع احتفاظها بثقافتها. وإذا عدنا الى التاريخ الاسلامي نجد المسلمين اقتبسوا من الروم واليونان والهند، مع التمسك بشخصيتهم الإسلامية ليحققوا حضارة راقية، ثم أن الغرب نفسه اقتبس من المسلمين دون أن يفقد هويته وينصهر في المجتمع الاسلامي. إن أسس التحديث لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تستعار من الثقافة الخارجية، وإنما تنبثق من الذات، والحداثة ليست مجرد التزامن مع الآخر المتحضر في أدواته وتقنياته بل هي تراكم للخبرة والتطور (محفوظ محمد، 1998 : 47) .

نعم نقبل المحاكاة التي خصها توينبي بصفحات عديدة في مؤلفاته، لكن الشروط التي وضعها لها تعبر عن نزعة شوفينية وإعجاب بحضارته الغربية. وفي الحقيقة لا يمكن إلا الاعتراف

بعظمة هذه الحضارة، لكنها كما قال مالك بن نبي، هي من القيم التي لا تباع ولا تشتري، ولا يمكن حسب هذا المفكر لأحد أن يبيع لنا منها مثقالا واحدا، ولا يستطيع أي زائر أن يعطينا من محفظته أو من حقيبته الدبلوماسية ذرة واحدة منها (بن نبي مالك ، 1991 : 133). انها غير قابلة للتصدير بالمعنى المألوف للكلمة، لأن التصدير يتضمن صناعة سلعة ما في مكانا ما، ومن ثم إيجاد مشتر راغب في دفع ثمنها في مكان اخر. في حين الحضارة ليست سلعة بل هي مجموعة معقدة من المؤسسات والسلوكيات، التي يمكن أن توضع في مكانها فقط من طرف أشخاص محليين يتصرفون من تلقاء أنفسهم (باراني زولتان، موزر روبرت، 2012: 336) ويعلمون أن سر التخصر يكمن في اكتشاف أسبابها الحقيقية، وليس مجرد القدرة على اقتناء مظاهرها.

المراجع:

- ابن منظور، 1970، لسان العرب، د ط، بيروت، دار لسان العرب.
- اركون محمد، 1996، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، ط 2، بيروت، مركز الإنماء القومي.
- اشفيتسر ألبرت، 1963 فلسفة الحضارة، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، د ط، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- باراني زولتان، موزر روبرت، 2012، هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟ ترجمة جمال عبد الرحيم، ط 1، الكويت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
- بدران إبراهيم، 1991، حول التاريخ والتقدم في الوطن العربي، ط 1، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- برغسون هنري، 1971، منبع الاخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، د ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- بن خلدون، 2001، مقدمة ابن خلدون، د ط، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- بن نبي مالك، 1991، في مهبط المعركة، ط 4، بيروت - دمشق، دار الفكر .
- توينبي ارنولد، د ت، العالم والغرب، ترجمة روفائيل جرجس، د ط، (القاهرة ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
- توينبي ارنولد، 2011 ج 1، ج 2، ج 3، ج 4، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، د ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة
- الجابري محمد عابد، 1994 الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، ط 5، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- حجازي مصطفى، 2005، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، ط 9، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- شايعانداريوش، 1993، او هام الهوية، ترجمة محمد علي مقلد، ط 1، بيروت، دار الساقى.
- الشفقي محمد عبد الله 1964، مع ارنولد توينبي، د ط، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- الشيخ رأفت غنيمي، 1988، فلسفة التاريخ، د ط، القاهرة، دار الثقافة والنشر والتوزيع.
- صبحي احمد محمود، 1975 في فلسفة التاريخ، د ط، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية.
- ظاهر مسعود، 1999، النهضة العربية والنهضة اليابانية، تشابه المقدمات واختلاف النتائج، د ط، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- كارليل توماس، 1930، الابطال، ترجمة محمد السباعي، ط 3، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر.
- لالاند اندريه، 2001، موسوعة لالاند الفلسفية، ط 2، بيروت - باريس، منشورات عويدات.
- محفوظ محمود، 1998، الاسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي.
- مطر حلمي، 1998، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د ط، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الملاح هاشم يحي، 2007، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- وهبة مراد، 2007، المعجم الفلسفي، د ط، القاهرة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ArnoldToynbee, 1957, The world and the west, london, oxford university press

للإحالة على هذا المقال:

- نبيل مسبعد، (2021)، « محاكاة الحضارة عند ارنولد توينبي». المواقف، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص.ص 135-155.